الفصل الثالث

موانع مفاهيمية ـ معرفية في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني

يفعات ماعوز

مقدمه

يحتل البناء الذاتي للواقع الاجتماعي، والتصورات، والتفسيرات والاتجاهات الاستدلالية ـ مكانًا رئيسيًا في الصراعات والخلافات الاجتماعية. تتسم هذه الأوضاع بدرجات عليا من عدم اليقين، إلى جانب مصلحة قوية في تفسير وتوضيح سلوكيات الخصم ومحاولة توقعها والتنبؤ بها وأيضًا كدافع عال للتبرير الذاتي وانتقاد الخصم (Rosenberg & Wolfsfeld, 1977). في هذه الظروف يظهر ميل لتصور واقع الصراع وتفسيره المسبق، المتأثر بعناصر مثل المواقف، والتوقعات المسبقة، والآراء والمصالح المتعارضة لكل طرف من أطراف الصراع.

يذكر دويتش، وهو باحث رئيسي في مجال الصراعات، أن التوتر البالغ المرتبط بالصراع يوجد موارد فكرية للتعامل مع المعلومة ويؤدي إلى انحرافات في التفسير. هذه الانحرافات التفسيرية تلعب دورًا ملموسًا في الحفاظ على الصراعات وتصعيدها (Deutsch, 1973.) وقام علماء نفس اجتماعي بدراسة ظاهرة اللاعقلانية في السلوك لدى العناصر المتورطة في الصراعات. يرجع بعضهم معاني قاطعة لظواهر مثل الآراء

obeikandl.com

المسبقة، والتصورات والأنماط السلبية للخصم والانحرافات في تصور سلوكيات الجماعة الثانية وفي تقديرها. هذه الموانع، النابعة من تصورات منحرفة للصراع، تحفظه ويمكن أن تجعله أكثر تطرفًا (Silverstein, 1989).

يتناول هذا الفصل الانحرافات المفاهيمية في الصراع ـ تلك الموانع النفسية المفاهيمية ـ المعرفية التي تتسم بها مواقف الأطراف في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. ويحلل الجزء الثاني التطبيقي مساهمة هذه الموانع المفاهيمية ـ المعرفية في انهيار عملية السلام التي بدأت مع التوقيع على اتفاقيات أوسلو. ويقترح الجزء الثالث والخلاصة سبل التعامل مع الموانع النفسية في سبيل تسوية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

انحرافات مفاهيمية في الصراع

يعد انعدام التفكير العقلاني بين الطرفين أحد السمات الرئيسية للصراعات. فالتوترات الشديدة التي يوجدها الصراع تقوض الموارد الفكرية المتاحة لإعداد معلومة وتقود إلى مفاهيم مضللة للواقع. ويمكن أن تؤدي هذه المفاهيم المضللة والمنحرفة إلى استمرار الصراع بل وحتى تصعيده (Deutsch, 1973).

تصورات سلبية لصورة الخصم وسلوكياته

يعد التمثيل السلبي لصورة الخصم تحيزًا أساسيًا في الإدراك في حالات الصراع. ينعكس هذا التمثيل السلبي في تصور أن الخصم لديه نوايا سيئة، وأخلاق منحطة وخصال سلبية (Finlay, Holsti & Fagen, 1967; Holsti, 1986). يعبر عن هذه التصورات للخصم في تصوراته الشيطانية وفي ظاهرة «صورة المرآة» ـ التصور السلبي لطرف عن خصمه، يعكس في صورة المرآة التصور السلبي لدى الخصم عنه. مثل برونفربرنر لهذه الظاهرة لأول مرة في سياق العلاقات بين الجماعات (Bronfenbrenner, 1961)

وذلك في البحث الذي درس التصورات السوفيتية والأمريكية المتبادلة في ستينيات القرن العشرين.

وبعد هذا البحث تمت بحوث أخرى تناول بعضها أيضًا علاقات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة (Eckhardt, & White, 1967; White, 1965) بينما تناولت أبحاث أخرى صراعات أخرى. وجدت ظواهر صورة المرآه في الصراع الهندي الباكستاني (Haque 1973) وفي الصراع بين كولومبيا وفنزويلا وبصورة موسعة أيضًا في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني Eckhardt, Young, Azar & Solan, 1974; White, 1977; Haque & Lawson, 1980. وجد في هذه الحالات أن كل طرف من الأطراف يميل إلى إرجاع خصال إيجابية لنفسه ويرى نفسه أخلاقيًا، ومتسقًا ويتطلع للسلام، بينما يرجع للخصم خصال سلبية ويعتبره غير أخلاقي، وغير متسق وعدوانيًا.

وبالنسبة للصراع الإسرائيلي العربي، يورد بر طال وطياخمان (2005) بحثًا شاملًا عن التصورات النمطية والتصورات السلبية لدى اليهود الإسرائيليين تجاه العرب، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى التنظيمات الاجتماعية والثقافية، مثل منظومة التعليم ووسائل الاتصال التي تنشر هذه التصورات وتحفظها.

تناولت بحوث كثيرة الصراعات الدولية والصراعات بين الجماعات، وقدمت نماذج تفيد أنه إضافة إلى التصور السلبي للخصم هناك أيضًا ميول دائمة للتعامل السلبي مع السلوكيات المنسوبة له. ينعكس هذا التناول في التصور، والحكم وفي الأنماط المرجعية التي تظهر لدى الأطراف المتداخلة. وفي الأبحاث التي تناولت علاقات الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفييتي، وجدت ميول دائمة لدى طلبة أمريكيين لاستخدام مستوى مزدوج، اعتبروا أن العمليات الشبيهة أكثر سلبية حينما نسبت للسوفييت وأقل سلبية حينما نسبت للولايات المتحدة (Oskamp, 1965; Tobin & Eagles,1992; Mickolus, 1980). إضافة إلى ذلك وجد أن الطلبة الأمريكيين الذين قرأوا وصف العمليات التي نسبت إلى الاتحاد

السوفييتي، مالوا إلى ذكر الأعمال التي أدخلت استخدامًا مباشرًا في العدوان (Flamenbaum 1989& Silverstein). أما العينة التي قرأت تصريحًا أمريكيًا بأن الاتحاد السوفييتي (وعلى التبادل: أستراليا) أنكر الاتهامات الصينية بشأن إدخال إذاعات راديو إلى داخل الصين، فقد مالوا أكثر إلى ذكر أن الرسالة ترجع التسلل إلى الاتحاد السوفييتي مقارنة بالعينة التي أرجعتها إلى أستراليا. بل إن العينة الأمريكية عرضت انحرافًا في إرجاعاتها للعمليات السوفيتية. هكذا وجد الباحثون (Sande, Goethals, Ferrari & Worth, 1989) أن الأمريكيين أرجعوا دوافع أكثر سلبية لعمليات إيجابية وسلبية نسبت للاتحاد السوفييتي، مقارنة بالوضع الذي أرجعت فيه نفس العمليات إلى الولايات المتحدة أو فرنسا.

وجدت أيضًا تحيزات مشابهة في ساحة الصراع في الشرق الأوسط. ففي سلسلة بحوث تمت في هذا المحال (Heradstveit, 1974; 1981) تمت مقابلة أعضاء النخبة السياسية من جانبي الصراع الإسرائيلي العربي (نخبة من إسرائيل ومن مصر ولبنان وسوريا). في هذه الأبحاث وجد أن الأطراف تميل أكثر إلى ذكر وتأكيد السلوك المعادي والمتطرف من جانب الخصم واعتبرتها أدلة ذات مصداقية منخفضة، لكن بمضمون متطرف، مؤشرات لنوايا الخصم الحربية. وفي المقابل قللت الأطراف من قيمة المؤشرات الإيجابية وخطوات الخصم المعتدلة، مع التعبير عن عدم الثقة في «اعتدال حقيقي» لنواياه. إضافة إلى ذلك عرضت العينة تحيزات ظاهرة في تأصيل الخدمة الذاتية، حيث يستخدمون معيارين مختلفين للتأصيل ـ بالنسبة لهم وبالنسبة للعدو. وبينما اتجهت العينة إلى توضيح السلوك الودي والمعتدل من جانبهم بعوامل مضامين داخلية، وسلوكهم العدواني إلى عوامل وضغوط خارجية، استخدموا معيارًا عكسيًا تجاه الخصم؛ أي أن السلوك المعتدل أو الودود من الخصم، اعتبر من وجهة نظرهم سلوكا معاديا منه وأرجعوه إلى عوامل سماتية وبالتالي أيضًا ثابتة.

وجد تحيز من نوع مشابه في بحث روزنبرج وولفسفيلد (Wolfsfeld, 1977 & Rosenberg) اللذان وجدا أن اليهود الإسرائيليين مالوا إلى

إرجاع نجاحات وأعمال أخلاقية لليهود الإسرائيليين إلى عوامل داخلية، بينما اتجهوا إلى إرجاع الأعمال غير الأخلاقية من جانب العرب إلى عوامل داخلية. والعرب من جانبهم، مالوا إلى إرجاع إخفاقات إسرائيليين (يهود) إلي عوامل داخلية.

تحيزات التفضيل الجماعية

هذه التحيزات في الرؤية والتأصيل تعد سمة للرؤى المتبادلة بين الجماعات في الصراع، ويوجد في أساسها تحيز التفضيل المجموعاتي. هذا التحيز يفضل المجموعة الداخلية (الجماعة التي ينتمون إليها) على الجماعة الخارجية (الجماعة الأخرى) ويميل إلى الحكم على السلوكيات المتشابهة لدى الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية لصالح الجماعة الداخلية. وبمعنى آخر: يميل الناس إلى استخدام نظريات ومواقف وقيم وسلوكيات إيجابية تجاه المجموعة الداخلية عنه تجاه مجموعة الخارج. وتوجد أدلة على التحيز المجموعاتي في الأبحاث التي ركزت على سلوكيات العنف أو العدوانية. على سبيل المثال، في الأبحاث التي تمت في سياق الصراع الإسرائيلي العربي، وجد ميل إلى تقييم سلوك العنف أو السلوك العدواني باعتباره أمرًا خطيرًا جدًا ومبررًا بدرجة أقل حينما ينسب للخصم، عنه حينما ينسب للجانب الذي تنتمي إليه العينة (يانون وفيزمان 1994; Eshel et al, 1995 ;Crabb, 1989). ووجد أيضًا أن السلوك العدواني لعضو الجماعة الخصم ينسب إلى عوامل تتعلق بالشخصية، بينما يرجع السلوك العدواني لدى عضو جماعة الداخل إلى عوامل تتعلق بالوضع (Duncan, Jervis, 1976; Hunter, Stringer & Watson, 1991).

التحيز في تقليل رد الفعل

يمكن أن تظهر التحيزات التصورية أيضًا في أوضاع المفاوضات التي تجرى فيها بين أطراف الصراع اتصالات تهدف إلى التوصل إلى حل متفق عليه.

التحيز الرئيسي العامل في حالات المفاوضات والذي يخلق مانعًا ملموسًا لحل الصراعات هو تحيز الحد من ردود الفعل (Reactive Devaluation) يتطرق هذا التحيز لميل أطراف الصراع إلى الحد من قيمة التفسيرات أو الحلول التي اقترحها الخصم. في مثل هذه الحالات تؤدي حقيقة أن الخصم هو الذي اقترح التسوية إلى أن تصبح أقل تقييمًا في نظر متلقي الاقتراح (Ross & Stillinger,1991; Ross, 1995).

ووجد الدليل على هذا التحيز في أبحاث تطبيقية تمت في شأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. ففي مجموعة من البحوث عرض على اليهود الإسرائيليين مقترحات تسوية حقيقية طرحتها الأطراف في أثناء المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية. وفي بعض الأبحاث عرضت مقترحات طرحها الوفد الفلسطيني الرسمي للمفاوضات وفي حالات أخرى عرضت نفس المقترحات على أنها مقترحات طرحها الوفد الإسرائيلي الرسمي في المفاوضات.

وجد أن تقييم المقترحات كان أفضل لإسرائيل وأسوأ للفلسطينيين حينما عرضت على أنها مقترحات إسرائيلية (Maoz et. al., 2002). ووجد أيضًا نفس الموقف بخصوص تسويات مختلفة، وكأنها مقترحات من الجانب الإسرائيلي, أيضًا كأنها مقترحات من الجانب الفلسطيني. وبالتالي فإن اقتراح التسوية الفلسطيني الذي عرض على أنه اقتراح إسرائيلي، اعتبر أفضل لإسرائيل من التسوية الإسرائيلية التي عرضت على العينة على أنها اقتراح تسوية فلسطيني.

والنتيجة التي تم التوصل إليها هي أن تحيز تقليل رد الفعل يعد مانعًا جوهريًا يواجه الإسرائيليين والفلسطينيين معًا في طريق حل الصراع. ومع ذلك فهو أيضًا يضع عدة قيود في مدى عمل تحيز الحد من رد الفعل. **أولا**، يوجد هذا الحد فقط بالنسبة للتسويات الغامضة بشأن التسوية الدائمة التي تقود إليها وليس بشأن التسويات القاطعة.

ثانيًا، يوجد الحد من رد الفعل بالنسبة لردود الحمائم، لكنه ليس كذلك بالنسبة لردود الصقور، حيث إن هوية مقترحي التسوية لم تؤثر بالمرة على تقديراتهم.

كيف تعمل التحيزات النفسية ـ المعرفية التي وصفت أعلاه كمانع لإدارة وحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؟ تتيح الوثائق والبحوث الموثقة والمحللة لفشل عملية أوسلو دراسة هذا السؤال بصورة تطبيقية.

موانع نفسية في فشل عملية السلام بعد اتفاق أوسلو

ننتقل الآن إلى الجزء العملي، نطبق الإطار الفكري الذي عرضناه بالنسبة للموانع النفسية لحل الصراعات ونحاول أن نفهم تأثير هذه الموانع على انهيار عملية السلام التي بدأت باتفاق أوسلو الموقع في سبتمبر 1993. حيث إن تحليل عدة مصادر تتناول مواقف الجمهور الإسرائيلي بشأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ـ وبصورة أكثر دقة: المصادر التي تتناول بالتوثيق والتحليل عملية أوسلو ـ يتيح لنا الإشارة بوضوح إلى تأثير الموانع النفسية المعرفية على فشل تنفيذ اتفاق أوسلو.

تعنت التصورات السلبية المتبادلة

يبدو أنه يمكن أرجاع جزء رئيسي من فشل الاتفاق إلى تعنت التصورات السلبية التي يرجعها كل طرف في الصراع إلى الطرف الثاني. حيث يظهر الباحثون كيف ظلت التصورات السلبية المتبادلة، وتشويه صورة الخصم، وعدم الثقة المتبادلة والتصورات الإثنية التي تفضل الجماعة المحلية على الجماعة الخارجية، شائعة وفاعلة بين واضعي ومنفذي السياسات الإسرائيليين والفلسطينيين (ميخائيل, 2003 ; فونداق 2001; Kacowicz, 2004) سواء على مستوى الجماهير من الجانبين فونداق (Bar-On, 2008; ;2001 Bar-Tal, 2001; 2007) أو على مستوى أجهزة النشر الواسع للتصورات والأيديولوجيات مثل منظومة التعليم والاتصال في إسرائيل وفي السلطة الفسطينية (Bar-Tal, 2001. Wolfsfeld, 2002; 2004).

تعنت هذه التصورات السلبية وعدم الثقة التي توجدها، كانت بلا شك عاملًا نفسيًا رئيسيًا في فشل مسيرة أوسلو، على مستوى واضعي السياسات، والجمهور والأفراد.

تحيز تقليل رد الفعل وفشل التعاون الأمني ـ العسكري بصورة دقيقة.

بصورة أكثر دقة يمكن رؤية عمل هذه الموانع النفسية في فشل بُعد رئيسي في تنفيذ اتفاق أوسلو ـ وهو بُعد التعاون الأمني ـ العسكري. يشير كوبي ميخائيل، الذي عمل رئيسًا لجهاز التنسيق الأمني في الفترة المعنية، والذي وثق وحلل هذا الموضوع إلى تصورات سلبية يحتفظ بها الإسرائيليون والفلسطينيون كل تجاه الآخر، بأنه أمر يؤدي إلى عدم الثقة المتبادله وعدم القدرة على إيجاد تعاون أمني ـ عسكري فعال بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية (ميخائيل, 2003: 30, 39, 34) ويصف ميخائيل أيضًا عمل جهاز تقليل رد الفعل ـ كيف شك كل طرف في أن حل التسوية الذي يقترحه الطرف الثاني في مجال التنسيق الأمني ـ العسكري، يميل لصالح المقترح وفي غير صالح متلقي العرض. أعاق هذا الجهاز المفاوضات ومنع بالفعل القدرة على التوصل إلى اتفاقات إسرائيلية فلسطينية قاطعة بشأن الإجراءات الأمنية ـ العسكرية المطلوبة لتنفيذ اتفاق أوسلو في المنطقة (نفس المصدر ص 42).

استمرار وتصعيد التصورات السلبية وعدم الثقة

هناك وثيقة أخرى كتبها رون فونداق، من مهندسي اتفاق أوسلو، توثق انهيار عملية أوسلو من خلال التركيز على الزعماء وواضعي السياسات الإسرائيليين والفلسطينيين الذين حاولوا تنفيذ الاتفاق (فونداق 2001).

ويبرز من تحليل وثيقة فونداق المكانة العامة التي تحتلها العوامل النفسية ـ المعرفية في فشل عملية أوسلو. فهو يصف كيف أن التصورات السلبية المتبادلة وتمرد الأطراف كل تجاه الآخر على مستوى الزعماء، وواضعي السياسات ومنفذيها من كلا الجانبين، أعاقت التعاون المطلوب لتنفيذ الاتفاقات. ويمكن أن نستقي من أقوال فونداق معلومات عن تصعيد الشكوك وعدم الثقة المتبادلة التي ترجع

إلى الفهم الخاطئ لنشاطات الخصم المتعلقة بتنفيذ الاتفاق، واعتبارها نشاطات مدمرة موجهة للإضرار بالطرف الثاني. وهذا التحليل السلبي لنشاطات الخصم أدى بدوره إلى القيام بنشاطات حمائية أو عدوانية مضادة وهكذا، وإلى الإعاقة الكاملة لعملية السلام وللعلاقات بين الطرفين (نفس المصدر ص4). كما يقول فونداق، فإن الجماهير والقيادة الفلسطينية فسرت السياسة الإسرائيلية بشأن تنفيذ اتفاقات أوسلو على أنها تنتقص وتهدف إلى الإضرار بالحلم القومي الفلسطيني وتصفيته. في رأي فونداق، عدم ثقة الطرف الفلسطيني وتصوراته السلبية عن الطرف الإسرائيلي ونشاطاته، أعاقت اتفاق أوسلو وأجهضته وأدت في النهاية إلى الانتفاضة الثانية، التي كانت بالفعل خطًا رئيسيًا مطلقًا في تفسير انهيار المفاوضات (نفسه ص5). ويصف فونداق أيضًا التصورات السلبية التي كنها الجمهور الإسرائيلي وقادته للفلسطينيين بأنها نتيجة لدوافع تعامل جدي من جانب إسرائيل لتنفيذ الاتفاق وتعزز المخاوف وعدم الثقة الفلسطينية تجاه إسرائيل (نفس المصدر صفحات 4، 6، 10، 11)

العميد يوسف كوفرفاسر (2003) الذي ترأس في الفترة المعنية لواء البحوث في شعبة الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي، يصف بصورة مشابهة تصور الإسرائيليين في نظر الفلسطينيين كشياطين، ومتوحشين، يعتزمون استغلال الفلسطينيين وطردهم من أرضهم. ويزعم كوفرفاسر أن هذه التصورات السلبية، التي ظهرت أيضًا في الكتب التعليمية الفلسطينية، لم تتغير بصورة جوهرية بعد اتفاق أوسلو وظلت حاضرة في تعبيرات الزعماء، وفي المنظومة التعليمية وأيضًا في المواقف التي تتمسك بها الجماهير الفلسطينية. هذه التصورات السلبية لم تتح بناء الثقة والتعاون بين الأطراف وأدت إلى عدم قدرة الطرف الفلسطيني على رؤية الصراع بمنظور إسرائيلي، وبالتالي أيضًا التعامل الفلسطيني السلبي مع حلول التسوية الإسرائيلية للصراع.

لقد عثر الباحثون الإسرائيليون لدى الجماهير اليهودية الإسرائيلية على ظواهر شبيهة من التمرد تجاه الفلسطينيين، ومشاعر الخوف، والتهديد والتصورات السلبية، وأظهرت أن هذه الظواهر بدأت تتجه نحو التطرف لدى الجمهور الإسرائيلي بعد توقيع اتفاق أوسلو، وترتبط بصورة ملموسة بمعارضة قطاعات كبيرة في الجماهير الإسرائيلية لحلول التسوية المطلوبة لتنفيذ عملية السلام (Bar-Tal, 2001; Maoz & McCauley, 2005; 2008).

البحوث والأدلة على عملية أوسلو وانهيارها تتيح التعرف أيضًا على الإجراءات النفسية ـ التصورية الدقيقة التي أوجدت مانع تنفيذ الاتفاقات بنجاح.

ظاهرة استيعاب (التفسيرات) المنحازة

أحد العوامل الملموسة التي أتاحت النجاح المبدئي لعملية أوسلو ـ التوصل إلى صيغة اتفاق مقبول لدى الطرفين ـ هو بلا شك ما وفر ما يسميه السياسيون «الغموض البناء». لقد تضمن الاتفاق صياغات مبهمة يمكن لكل طرف أن يفسرها على طريقته. يوثق ذلك أحمد قريع (أبو علاء)، وهو من مهندسي الاتفاق، في كتابه «المفاوضات السرية» التي جرت في النرويج، ويصف كيف استعانت الأطراف بصياغات مبهمة من أجل التوصل إلى صياغة يمكن لكليهما الموافقة عليها (Qurie, 2006: 201) هذه الظاهرة من الضبابية المقصودة في صياغة اتفاق السلام تحظى بوصف متعمق في كتاب بر سيمان طوف، الذي يحلل عناصر اتخاذ القرارات في الانتقال من الحرب إلى السلام في العلاقات الإسرائيلية العربية بر سيمان طوف. (51: 1996).

لكن هذا الغموض البناء أصبح سيفًا ذا حدين حينما حلت المرحلة التي يتطلب فيها من الطرفين ترجمة مصطلحات الاتفاق إلى خطوط دقيقة قاطعة جدًا، تتيح تطبيقه. في كتابه «سلام مكسور» يحسن يورام ميتال تمثيل عملية مانع الرؤية

المعرفية للتفسير (الاستيعاب المتحيز) Biased Assimilation. يصف ميتال كيف صِيغَ الغموض في بند 4 من إعلان مبادئ أوسلو، الذي يتعلق بصلاحيات المجلس الفلسطيني المنتخب، حيث فسره كل طرف بصورة تناسب وجهات نظره هو وضد وجهة نظر الطرف الثاني (نفس المصدر ص 64-63).

تحيز التأصيل الذي يزيد الصراع

التحيز التأصيلي الذي يزيد الصراع مشتق مباشرة من تحيز التفضيل المجموعاتي الموصوف أعلاه؛ فهو تحيز شائع جدًا، سواء على مستوى المواطنين المشاركين في الصراع أو على مستوى تمثيل الصراع في وسائل الإعلام من كلا الجانبين. يتعلق تحيز التأصيل للمزيد من الصراع بالوضع الذي يعتبر فيه كل طرف من أطراف الصراع تصرفاته السلبية والعدوانية نتيجة لضغوط أوضاع خارجية، وليس كدليل على نواياه الحقيقية في الصراع، خاصة وأنه يرى التصرفات الإيجابية والمحبة للسلام عنده وليدة عناصر داخلية وتعكس نواياه الحقيقية.

هناك نمط عكسي للتأصيل يوجد بشأن الخصم في الصراع. تعتبر التصرفات الإيجابية والمحبة للسلام لدى الخصم نتيجة لضغوط وقيود خارجية، وبالتالي لا تعكس نوايا الخصم الحقيقية (والمهددة). وفي المقابل، تعتبر السلوكيات السلبية والعدوانية لدى الخصم نتيجة لعوامل داخلية تعكس طبيعة الخصم ونواياه الحقيقية. هذا النمط من التأصيل، يحفظ الصراع بصورة واضحة ويحول دون إحداث تغيير تصوري إيجابي بمنحه ثقلا بالغا لنشاطات الخصم العدوانية وتقليله لمعاني نشاطاته المحبة للسلام.

تشير شهادات وأبحاث عن عملية أوسلو إلى وجود واضح لتحيزات التأصيل الذي يزيد من الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين بعد التوقيع على اتفاق أوسلو. هكذا، على سبيل المثال، يظهر تحليل تصريحات الزعماء الإسرائيليين

والفلسطينيين التي نشرت في تلك الفترة في وسائل الإعلام أن الزعماء في كل جانب مالوا إلى تعظيم خطورة نشاطات الخصم وتصريحاته العدائية والقتالية وفي الوقت نفسه تقليل أهمية وقيمة الآثار، والنشاطات والتصريحات القتالية من الجانب الذي يمثلونه (ميتال 2003 ص20-19). ويمكن أن نرى بسهولة كيف أوجد هذا المانع التحيزي ـ تحيز التأصيل المُزيد للصراع ـ عائقا جديًا لبناء الثقة بين الأطراف وساهم في تزايد وتطرف العنف والعدوان الذي أدى في نهاية الأمر إلى انهيار العملية.

تناقض الهوية الجمعية

تقترح البحوث النفسية ـ الاجتماعية الكلاسيكية التي تتناول تقليل العداء بين الجماعات المتخاصمة، إيجاد هوية عليا مشتركة بين الجانبين، تمثل المصالح التي يمكن أن يتفق عليها الجانبان (Sherif, 1966). وربما ينجح هذا التشكيل في مستوى البحث النفسي ـ الاجتماعي، لكن مسألة تشكيل هوية عليا مشتركة تصبح أمرًا إشكاليًا حينما يكون الصراع صراعًا إثنو سياسيًا حقيقيا.

لاحظ كيلين (Kellen, 2009) في بحث تابع عملية المفاوضات غير الشكلية بين القادة وأعضاء النخبة الإسرائيليين والفلسطينيين، ظاهرة «تناقض الهويات الجمعية» الرائعة. لقد وجد كيلين أن المشاركين الإسرائيليين في أطقم المفاوضات نجحوا فعلا في التوصل إلى هوية عليا مشتركة «لمؤيدي السلام»، سدت بصورة رائعة الثغرات بينها، لكن في نفس الوقت ابتعدوا عن المواقف الشائعة لدى الجماهير العريضة التي يمثلونها ـ الجماهير الإسرائيلية والفلسطينية. هذا الابتعاد عن مواقف الجماهير العريضة يخلق بالطبع مانعًا جوهريًا لنشر وتطبيق الاتفاقات التي وافقت عليها المجموعات المصغرة من ممثلي الأطراف.

أوجد تناقض الهوية الجمعية بصورة واضحة مانعًا نفسيًا حال دون قبول اتفاقات أوسلو لدى جماهير الهدف العريضة، الإسرائيليين والفلسطينيين. حيث عرفت

اتفاقات أوسلو والنشاطات الموجهة لتنفيذها بدرجة كبيرة ومتزايدة لدى الجمهور العريض في الجانبين بأنها تمثل مجموعات مصغرة من مؤيدي السلام وتتناقض بل وتعرض المصالح الوطنية للخطر (ميطال2006 2004 ,Qurie)، (لتحليل مقنع لانعدام الشرعية الجماهيرية في تنفيذ سياسات أوسلو، انظر كتاب يعقوب بر سيمان طوف 1996, ص 96 ـ 84)

والخلاصة: يمكن أن نرى من التحليل الإمبريقي الوارد أعلاه أن الموانع النفسية ـ المعرفية لعبت دورا رئيسيًا في فشل عملية أوسلو وانهيارها. هذه الموانع، التي عملت لدى الطرفين ـ الإسرائيلي والفلسطيني ـ حالت دون دعم وتأييد الزعماء، والأذرع التنفيذية والجماهير من كلا الجانبين، والعمليات والتفسيرات العملية المطلوبة لتنفيذ الاتفاق على الأرض والتقدم نحو حل عملي للصراع.

وهنا يطرح هذا السؤال ما الذي كان (أو ما زال) يمكن عمله بطريقة أخرى؟ وبمعنى آخر: كيف يمكن التعامل مع الموانع النفسية ـ المعرفية لكي نتوصل إلى حل للصراع الإسرائيلي الفلسطيني؟

وسائل للتعامل مع الموانع التحيزية المعرفية لحل الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني

لقد وصفنا حتى الآن عدة أنماط من التحيز يمكن أن توجد موانع جوهرية لحل الصراعات. ويمكن أن يساعد الفهم العميق للموانع التحيزية ـ المعرفية الموصوفة في هذا الفصل، في التعامل مع مثل هذه الموانع والتغلب عليها وإيجاد وسائل لزيادة اتجاه الطرفين للموافقة على حلول تسوية الصراع. وفيما يلي نصف عدة منظومات يمكن أن تساعد في ذلك.

التأثير الإيجابي لطرف ثالث (وسيط) في المفاوضات

وجدت ظاهرة تحيزية هامة بشأن منظومة التفسيرات المقترحة للصراع، وهي التأثير الإيجابي لطرف ثالث (وسيط) في المفاوضات. ووجدت البحوث التي تمت بشأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني أن التسوية المقترحة كاقتراح أمريكي، يقيمها اليهود الإسرائيليون بصورة إيجابية جدًا عن التسوية نفسها حينما تعرض على أنها اقتراح فلسطيني (Maoz 1999).

تظهر هذه النتائج أن عرض تسوية الصراع كاقتراح عنصر وسيط ـ طرف ثالث في المفاوضات ـ يمكن أن يرفع بدرجة كبيرة من ميل الأطراف المشاركة في الصراع للموافقة على هذا الحل، وبهذا يتم التغلب على مانع تقليل رد الفعل.

التأطير والتصورات في الصراع والمفاوضات

نظام آخر يمكن أن يساعد في التغلب على الموانع النفسية ـ المعرفية لحل الصراع، يتعلق بتركيبة المفاوضين المحدودة.

ووفقًا لتقدير النساء والسلام («The women and peace hypothesis») تميل النساء أكثر إلى تأييد السلام ومعارضة التسوية مقارنة بالرجال. يؤيد هذا التخمين عدد من الأبحاث، لكن النتائج في هذا الموضوع غير ثابتة تمامًا. هناك حالات تؤيد التكهن «النساء والسلام» وهناك من تكون نتائجها غير ثابتة مع هذا التكهن (Tessler, Nachtwey, & Grant, 1999. Tessler & Warriner, 1997).

ومع ذلك، من الواضح أن النساء يعتبرن محبات للسلام، ومتصالحات ويملن إلى التعاون في المفاوضات أكثر من الرجال (Hunt & Posa, 2001; Tessler et al., 1999; Togeby, 1994).

ووفقًا لذلك، يمكن توقع تأثير جنسي على مجموعة تسويات، ينظر فيها إلى مقترحات التسوية التي تطرحها النساء الممثلات للخصم في المفاوضات بصورة أكثر إيجابية مقارنة بمقترحات الرجال الممثلين للخصم.

ويطرح هذا السؤال كيف يؤثر تحديد جنس مقترحي التسوية على تقدير التسوية المقترحة في الصراع وعلى تقدير السمات العامة للمقترحين أنفسهم؟ لكي نوضح هذا السؤال تمت مجموعة من البحوث الجنسية في تقدير تسويات الصراع الإسرائيلي الفلسطيني (Maoz, 2009).

المشاركون في هذه البحوث طلبة يهود إسرائيليين طرح عليهم مقترح لحل يعتمد على تسوية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. عرضت في هذه البحوث نفس التسوية في ظروف تجارب مختلفة. أحد هذه الظروف عرض كمقترح من مجموعة تفكير قيادة سياسية فلسطينية؛ وفي ظروف تجربة أخرى عرض كمقترح من مجموعة تفكير علماء سياسيين (رجال) فلسطينيين؛ وفي ظرف تجربة ثالثة عرض كمقترح من طاقم قيادة إسرائيلي؛ وفي ظرف تجربة رابعة عرض كمقترح من مجموعة تفكير قيادة سياسية (رجال) إسرائيليين.

كان الافتراض أن التسوية التي تعرض كمقترح من مجموعة تفكير قيادة سياسية فلسطينية يقيمها اليهود الإسرائيليين بصورة إيجابية عن نفس التسوية حينما تعرض على أنها مقترح من مجموعة عمل قيادة سياسية (رجال) فلسطينيين. إضافة إلى ذلك افترض أنه ينظر إلى القيادة السياسية الفلسطينية ـ مقدمة التسوية ـ باعتبارها محل ثقة، ومباشرة، وأكثر اتزانًا وسخونة بصورة ملموسة مقارنة بالزعامات السياسية (رجال) فلسطينيين، الذين يقترحون نفس التسوية.

وفقًا للافتراضات وجد أن التسوية المعروضة على أنها اقتراح من طاقم تفكير قيادة سياسية فلسطينية قدره اليهود الإسرائيليين بصورة أكثر إيجابية عن نفس

التسوية حينما قدمت على أنها مقترح من مجموعة تفكير قيادة سياسية (رجال) فلسطينيين.

ووجد بالفعل أن تأثير تقليل رد الفعل الموصوف أعلاه ـ تقليل قيمة التسويات المقترحة من الخصم ـ ينطبق فقط على رجال الطرف الخصم، لكنه لا ينطبق على النساء.

إضافة إلى ذلك اعتبرت الزعامات السياسية الفلسطينية،مقترحة التسوية، ذات مصداقية ومستقيمة ومتزنة وساخنة أكثر بصورة ملموسة مقارنة بالقيادات السياسية (الرجال) الفلسطينيين الذين اقترحوا نفس التسوية.

تشير هذه النتائج (Maoz, 2009) إلى التداخل الزائد للنساء في إجراءات المفاوضات، وإدارة وحل الصراعات ـ وفقًا للتوصيات التي اتخذت في قرار الأمم المتحدة 1325 (United Nations Security Council, 2000) يمكن أن تساعد بقدر ما في التغلب على الموانع النابعة من عدم الثقة ومن الإحساس الظاهري بالتهديد لأطراف الصراع وتزيد من اتجاه الأطراف إلى الموافقة على حلول التسوية المقترحة من جانب الخصم في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني (المزيد عن تهديد وموانع شعورية في الصراع (انظر ;Bar-Tal, 2001; Bar-Tal& Halperin Rivera, 2007 de Maoz & McCauley, 2005 2008 ولعرض تلخيصي انظر فصل بر طال وهالفرين في هذا الكتاب).

والخلاصة يبدو أن صناع القرار يحسنون صنعا هم وواضعو السياسات إذا فكروا في نتائج الأبحاث التي تتناول موانع حل الصراعات والمنظومات التي يمكن أن تساعد في التغلب على هذه الموانع المذكورة أعلاه (وأيضًا في فصول أورباخ، وآلون، بر سيمان طوف، بر طال وهالفرين وزكائي في هذا الكتاب، التي تتناول

الموانع النفسية والثقافية الأخرى لحل الصراعات). فهذه المعرفة تساعد في إيجاد منظومات التعامل مع الموانع التي تعوق التوصل إلى حل الصراع وتزيد من صعوبته.

لقاءات وحوارات ونشاطات مشتركة وتثقيف للسلام

إضافة إلى زيادة الوعي وإيجاد منظومات لتقليل الموانع على مستوى صناع القرار وراسمي السياسات، مطلوب أيضًا تغيير شامل وعميق جدًا في مستوى المواطنين في كلا الجانبين من أجل التغلب على الموانع النفسية المعرفية لحل الصراع. وهنا يطرح هذا السؤال: كيف يمكن التأثير على التفكير ورؤية الطبقات المختلفة في المواطنين لكل طرف من أطراف الصراع الإسرائيلي الفلسطيني من أجل تقليل التحيزات والتصورات السلبية التي تتمسك بها الأطراف كل تجاه الآخر؟ ما الذي يمكن عمله لإحداث التغيير، وزيادة الفهم، والموافقة وعلاقات السلام؟ يبدو أن التعامل الرحيم والتجاوب مع الآخر هو الوسيلة الأهم للتغلب على الموانع النفسية التي تعوق حل الصراع.

وتنبع من هنا أهمية لقاءات الحوار المنظمة بين اليهود الإسرائيليين والفلسطينيين، حيث يلتقي فيها الطرفان ويناقشان الآراء، ويتبادلان الخبرات والمشاعر المرتبطة بالصراع (Kelman1999 ;Maoz, 2004; Bar-On, 2008) ويمكن أن تقلل اللقاءات الحوارية من التصورات والتحيزات السلبية التي يتمسك بها الفلسطينيون والإسرائيليون كل تجاه الآخر. وهكذا يمكن أن تشجع اللقاءات الحوارية التطرق الإيجابي إلى الآخر وإلى احتمال حل الصراع. ومع ذلك، لا بد من التطرق أيضًا إلى الأسئلة المتعلقة بقدرة الحفاظ على التأثيرات الإيجابية للقاءات الحوارية على المدى البعيد (Salomon, 2006) وهل يمكن أن يبقى طويلًا تغيير النظرة الإيجابي المتحقق من اللقاءات الحوارية المخططة؟ كيف يمكن الحفاظ على تأثير اللقاءات المنظمة بين الأطراف التي يعود المشاركون فيها إلى واقع الصراع الصعب؟ من الواضح أنه

لكي يتم التغلب على الموانع المعرفية النفسية التي تواجه حل الصراع لا بد من إجراء تغيير عميق وواسع جدًا. سواء في الجانب الإسرائيلي أو في الجانب الفلسطيني، ولا بد من إحداث تغيير جوهري وواسع في الرسائل التي تنقلها المنظومة التعليمية أو تلك التي تنقلها وسائل الإعلام عن الطرف الثاني وعن أهمية حل الصراع والتوصل إلى السلام (Bar-Tal, 2000 Bar-On, 2008) ويجب أن تركز الرسائل من هذا النوع على مستوى إنسانية الآخر، وتعميق التعرف على الطرف الثاني وتشجيع الإسرائيليين والفلسطينيين على اعتراف كل منهما بروايات الآخر، وتعلم المعاناة التي عاناها أبناء الشعب الآخر وبهذه الطريقة يمكن تنمية التعاطف والتجاوب معه.

obeikandl.com